

ترجمة الحافظ ابن حجر

نسبه ومولده:

هو شهاب الدين، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الكناي، العسقلاني، الشافعي، المصري المولد والمنشأ والدار، والوفاة، القاهري. اختلفت المصادر في أسم جدّه الرابع، فتارة ذكر محمود، وتارة أحمد، والراجح أحمد كما في الترجمة التي كتبها هو لنفسه، كما أن السخاوي أثبت النسب المذكور وقال: هذا هو المعتمد في نسبه، ثم إن السخاوي أشار إلى الاختلاف في نسبه فقال: «لا أذكر أدناه... إلا ما قرأته بخط أصحابنا بل وبخط المقرئ، وكان عمدته بعد أحمد أحمد بن إسماعيل فإني لا أعلمه، ثم رأيت بخط صاحب الترجمة نفسه في أجزاء من نسخة من صفة النبي ﷺ كما وجد نسبه بخط قريبه الزين شعبان بإثبات أحمد بن إسقاط محمود.

وينسب إليه القول: إن نسبه يقرأ طرداً وعكساً ولا يتهياً إلا بتأخير محمود عن أحمد وإسقاطه. فإن كان قال ذلك فهو على سبيل التندر لما هو معلوم بأن مفهوم النسب لا يعني سبعة أسماء أو ثمانية لكي يقال: إنه يقرأ طرداً وعكساً.

وفي الدرر الكامنة: ذكر عم والده، فقال: عثمان بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود، وكذلك في كتابه رفع الإصر، وفي أول كتابه إنباء الغمر: بزيادة أحمد بعد محمود بحيث صار محمود بين أحمد بن، لكنه خالف ذلك في كتابه تبصير المنتبه بتحرير المشتبه وكذلك في ترجمة والده في القسم الثاني من معجم شيوخه، فإنه قال: علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر العسقلاني.

كما ورد أسم أبيه عبيد الله في موضع واحد وهذا وهم وأوضح البقاعي وابن خليل أن الحافظ ابن حجر ذكر طرداً من نسبه في استدعاء فقال [من الكامل]:

من أحمد بن علي بن محمد بـ
ولجد جد أبيه أحمد لقبوا
وعمصر مولده وأصل جدوده
من محمد بن علي الكناني المحتد
حجراً وقيل: بل اسم والد أحمد
من عسقلان المقدسية قد بدي^(١)
وكان يلقب: شهاب الدين، ويكنى: أبا الفضل، وكناه شيخه العراقي والعلاء بن المحلى: أبا العباس،
كما كني أبا جعفر، غير أن كنيته الأولى أبو الفضل - وهي التي كناه بها والده - هي التي ثبتت
وصار معروفاً بها.

نسبته:

١- الكناني: نقل السخاوي عن خط ابن حجر أنه كنانى الأصل، نسبه إلى قبيلة كنانة.
وقال الحافظ ابن حجر عن والده: رأيت بخطه أنه كنانى النسب وكان أصلهم من عسقلان.
٢- العسقلاني: نسبة إلى عسقلان، وهي مدينة بساحل الشام من فلسطين، والظاهر أن القبيلة التي
ينتمي إليها الحافظ ابن حجر كانت قد استقرت في عسقلان، وما جاورها إلى أن نقلهم صلاح
الدين الأيوبي عندما خربها ما بين ٥٨٠ - ٥٨٣ هـ على أثر الحروب الصليبية.
وقال ابن حجر [من الكامل]:

وعمصر مولده وأصل جدوده
من عسقلان المقدسية قد بدي

(١) الأبيات ضمن قصيدة له طويلة من (١٩) بيتاً، قالها في جواب له على استدعاء منظوم، وقد تفرد بها ديوانه
الكبير، أنظر ديوانه (ص ١١١. رسالة ماجستير ليحيى محمد حسان).

اشتهاره بابن حجر:

لقد أشتهر بابن حجر وأختلفت المصادر في اعتباره أسماً أو لقباً، وإذا كان لقباً هل هو لقب أحد أجداده فطغى على الحائلة كلها؟ أم أنه لقب أو مهنة أو صناعة؟.

قال السخاوي: هو لقب لبعض آبائه، وفي موضع آخر قال: هو لقب لأحمد الأعلى في نسبه، وقيل: بل هو أسم لوالد أحمد المشار إليه. إن هذا الرأي يستند إلى الاستدعاء الذي كتبه الحافظ ابن حجر بهيئة شعره السابق، وعلى الرغم من الغموض الذي يكتنفه فهو الراجح. وذهب بعضهم إلى القول بأنه نسبة إلى آل حجر وهم قوم يسكنون الجنوب الآخر على بلاد الجريد وأرضهم قابس وفي شرح ابن سلطان القاري على توضيح النخبة: أن ابن حجر هو لقب، وإن كان بصيغة الكنية.

مولده:

كان مولده في شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة على شاطئ النيل بمصر القديمة وقال [من الكامل]:

شعبان عام ثلاثة من بعد سبع مئة وسبعين أتفاق المولد

وكان المنزل الذي ولد فيه يقع بالقرب من دار النحاس ولبث فيه إلى أن تزوج بأم أولاده، فسكن بقاعة جدها منكوتر المجاورة لمدرسته المنكوترية داخل باب القنطرة بالقرب من حارة بهاء الدين واستمر بها حتى مات.

وبينا نجده لا يشير إلى تاريخ يوم ولادته، نلاحظ اختلافاً بين مترجميه في تحديد تاريخ ذلك اليوم فذكره البقاعي والسيوطي في الثاني عشر من شعبان، وذكر ابن فهد وابن طولون: في الثالث عشر من شعبان كما ذكره ابن تغري بردي والسخاوي في الثاني والعشرين من شعبان على أن

الشوكاني اعتبر مولده في الثاني من شعبان وهذا بعيد الاحتمال بسبب كونه متأخراً أخذ عن الذين سبقوه وفي هذه الحالة لا يؤمن التحريف.

ويظهر مما فات أن يوم مولد ابن حجر ينحصر ما بين الثاني عشر والثاني والعشرين من شعبان سنة ٧٧٣هـ أي بين الثامن عشر من شباط والثامن والعشرين منه من سنة ١٣٧٢م.

نشأته وأسرته:

نشأ الحافظ ابن حجر يتيماً - كما عبر هو عن نفسه - إذ مات أبوه في رجب سنة سبع وسبعين وسبع مئة، وماتت أمه قبل ذلك وهو طفل.

وقال: تركني ولم أكمل أربع سنين، وأنا الآن أعقله كالذي يتخيل الشيء ولا يتحققه، وأحفظ عنه أنه قال: كنية ولدي أحمد أبو الفضل، ولم يكن من يكفله، وكان والده قد أوصى قبل وفاته بولده اثنين من الذين كانت بينه وبينهم مودة ويبدو أن علياً كان حفيفاً بولده أحمد، فهو الذي كناه وأصطحبه عندما حج وزار بيت المقدس وجاور، ويظن الحافظ ابن حجر أن أباه أحضره في مجاورته مجالس الحديث وسمع شيئاً ما، غير أن المنية اخترمته ولم يسعد بولده الذي صار له فيما بعد شأن عظيم.

وأصبح اليتيم في وصاية زكي الدين أبي بكر بن نور الدين علي الخروبي، وكان تاجراً كبيراً بمصر، وورث مالا كثيراً وأصبح رئيساً للتجار، كما أوصى به والده العلامة شمس الدين بن القطان الذي كان له بوالده اختصاصاً لكنه لم ينصح له في تحفيظه الكتب وإرشاده إلى المشايخ والاشتغال حتى أنه كان يرسل بعض أولاده إلى كبار الشيوخ... ولا يعلمه بشيء من ذلك.

وقال عن ابن حجر: وكان له اختصاص بأبي فأسند إليه وصيته فلم يجد تصرفه.

وتشير المصادر إلى أن نشأة الحافظ ابن حجر كانت برغم ذلك - في غاية العفة والصيانة والرياسة، وأن الخروبي المذكور لم يأل جهداً في رعايته والعناية بتعليمه فكان يستصحبه معه عند مجاورته في مكة، وظل يراه إلى أن مات سنة ٧٨٧ هـ وكان الحافظ ابن حجر قد راهق ولم تعرف له صبوة ولم تضبط له زلة.

ولم يدخل الكتاب حتى أكمل خمس سنين فأكمل حفظ القرآن الكريم وله تسع سنين ومن الذين قرأ عليهم في المكتب شمس الدين بن العلاف الذي ولي حسبة مصر وقتاً وغيره. وأكمل حفظه للقرآن على صدر الدين محمد بن محمد بن عبد الرزاق السفطي، وكان الاتجاه الثقافي السائد آنذاك يقتضي من الذي يستظهر القرآن أن يصلي بالناس إماماً في صلاة التراويح في ليالي شهر رمضان، غير أن هذه الفرصة لم تنهياً لابن حجر الصبي الثابه الذي حفظ القرآن ولم يزل في التاسعة من عمره، وهذه في الحقيقة مسألة شرعية حيث لا تجزي صلاة المؤمنين إن لم يكن إمامهم بالغاً، ومع الاختلاف النسبي في تحديد سن البلوغ، فإن السنة الثانية عشرة من عمر الصبي كانت تتيح له على ما يظهر أن يصلي إماماً بالمسلمين إن هو حفظ القرآن الكريم، فكان عليه أن ينتظر بلوغ هذه السن.

وفي أول سنة ٧٨٣ أشغل بالإعادة، وفي سنة ٧٨٥ أكمل الحافظ ابن حجر اثنتي عشرة سنة من عمره، ومن حسن حظه أن يكون متواجداً حينئذ مع وصية الزكي الخروبي في مكة في تلك السنة فصلى التراويح هناك.

ويمكن تصور بؤادر نبوغه وشجاعته، فبقدر ما كانت مفخرة له كصبي يتقدم إماماً بالمسلمين في بيت الله الحرام فإنها كانت لحظة حاسمة وحرجة اجتازها بثبات وحسن أداء، فكانت الخيرة له

في ذلك كما قال، وكان الحج يومئذ يوم الجمعة فحج وجاور في الحرم الشريف ثم صلى بعد ذلك بالقدس.

ويظهر من استقراء تراجم الذين عاشوا في عصر الحافظ ابن حجر أن تقليدًا ثقافيًا كان يسود بين أوساط التلاميذ الذين يدخلون بالكتاب وذلك بإلزام التلاميذ بالتدرج في حفظ بعض مختصرات العلوم والكتب وسماع بعضها الآخر، وهي التي اتفق العلماء آنذاك اعتبارها أساسًا في بناء ثقافة طلاب العلم، وكان حفظها أو سماعها يتم بإشراف أساتذة بارزين في حقول اختصاصهم أو ما يقرب منها.

وإذا كانت ثقافة الحافظ ابن حجر تقليدية في أسلوبها فهي ليست كذلك في مكوناتها، نظرًا لقائمة الكتب المهمة التي كوّنت ثقافته باديء ذي بدء.

وبعد أن حفظ القرآن الكريم ظهرت مخايل الذكاء الفطري جلية عليه ما لبث أن استكملها بالتبعية والتحصيل حتى صار حافظ عصره وشيخ الإسلام.

وحفظ بعد رجوعه مع الخروبي إلى مصر سنة ٧٨٦ عمدة الأحكام للقدسي، والحاوي الصغير للقزويني ومختصر ابن الحاجب الأصلي في الأصول، وملحة الإعراب للهروي، ومنهج الأصول لليضاوي وألفية العراقي وألفية ابن مالك، والتنبيه في فروع الشافعية للشيرازي وتميز بين أقرانه بسرعة الحفظ فأشار مترجموه إلى أنه حفظ سورة مريم في يوم واحد وكان يحفظ الصحيفة من الحاوي الصغير في ثلاث مرات يصححها ويقرأها على نفسه ثم يقرأها أخرى ثم يعرضها حفظًا، وكانت له طريقتة الخاصة في الحفظ، حدث عنها تلامذته فهو لم يكن يحفظ بالدرس، وإنما

بالتأمل، وصرف همته نحو ما يروم حفظه، وقد وصف السخاوي هذه الطريقة بأنها طريقة الأذكياء.

وسمع صحيح البخاري سنة ٧٨٥ على مسند الحجاز عفيف الدين عبد الله النشاوري، وكأنه نسي تفاصيل سماعه منه، لكنه كان يتذكر أنه لم يسمع جميع الصحيح، وإنما له فيه إجازة شاملة وقد بين ذلك ابن حجر بقوله: والاعتماد في ذلك على الشيخ نجم الدين المرجاني فإنه أعلمني بعد دهرٍ طويل بصورة الحال فاعتمدت عليه وثوقاً به.

وقرأ بحثاً في عمدة الأحكام على الحافظ الجمال بين ظهيرة عالم الحجاز سنة ٧٨٥ هـ، وكان عمره اثنتي عشرة سنة.

واجتهد في طلب العلم فاهتم بالأدب والتاريخ وهو ما يزال في المكتب فنظر في التواريخ وأيام الناس، وأستقر في ذهنه شيء من أحوال الرواة، وكان ذلك بتوجيه رجل من أهل الخير سماه ابن حجر للسخاوي إلا أن السخاوي نسيه.

وسمع في فتوته من: المسند نجم الدين أبي محمد عبد الرحيم بن رزين بن غالب صحيح البخاري بقراءة الجمال بن ظهيرة سنة ست وثمانين وسبع مئة بمصر، وفاته شيء يسير، كما سمع الصحيح أيضاً من أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك الغزي وغيرهما.

وبلغ به الحرص على تحصيل العلم مبلغاً جعله يستأجر أحياناً بعض الكتب، ويطلب إعارتها له، يبرز في هذا المجال من بين شيوخه بدر الدين البشتكي الشاعر المشهور الذي أعاره جملة من الكتب منها كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني وغيره.

ويبدو من خلال الاستقراء أن فتوراً حصل في نشاطه الثقافي أاستمر إلى أول سنة تسعين وسبعائة، اشتغل في هذه المدة بالتجارة فنشأ في وسط تجاري لأن جده وأعمامه كانوا تجاراً، وكان وصيه الخروبي رئيساً للتجار في مصر.

ولعل لموت الخروبي سنة ٧٨٧هـ أثراً في فتور ابن حجر وأشتغاله بالتجارة حيث فقد من كان يحثه على الاشتغال بالعلم، وهو في مرحلة يحتاج فيها إلى ذلك، كما ترتب عليه أن يكفل نفسه وينهض بأعباء الحياة، وقد يتضح ذلك من قول السخاوي، ولو وجد من يعتني به في صغره لأدرك خلقاً ممن أخذ عن أصحابهم.

في سنة ٧٩٠هـ أكمل السابعة عشرة من عمره، وحفظ فيها القرآن الكريم وكتباً من مختصرات العلوم، وقرأ القراءات تجويداً على الشهاب أحمد الخيوطي، وسمع صحيح البخاري على بعض المشايخ كما سمع من علماء عصره البارزين وأهتم بالأدب والتاريخ.

وقد لازم حينئذ أحد أوصيائه العلامة شمس الدين محمد بن القطان المصري، وحضر دروسه في الفقه والعربية والحساب وغيرها، وقرأ عليه شيئاً من الحاوي الصغير فأجاز له ثم درس ما جرت العادة على دراسته من أصل وفرع ولغة ونحوها وطاف على شيوخ الدراية.

ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره نظر في فنون الأدب، ففاق أقرانه فيها حتى لا يكاد يسمع شعراً إلا ويستحضر من أين أخذ نأظمه، وطارح الأدباء.

وقال الشعر الرائق والنثر الفائق، ونظم المدائح النبوية والمقاطيع.

وتمثل سنة ٧٩٣ منعطفًا ثقافيًا في حياة ابن حجر، فمن هذه الثقافة العامة والسعة، وأجتهاده في الفنون التي بلغ فيها الغاية القصوى أحس بميل إلى التخصص فحبب الله إليه علم الحديث النبوي فأقبل عليه بكلية.

وأوضحت المصادر أن بداية طلبه الحديث كان في سنة ٧٩٣ هـ وغير أنه لم يكثر إلا في سنة ٧٩٦ هـ وكتب بخطه: رفع الحجاب، وفتح الباب، وأقبل العزم المصمم على التحصيل، ووفق للهداية إلى سواء السبيل، فكان أن تتلمذ على خيرة علماء عصره.

وكان شيخه في الحديث زين الدين العراقي الذي لازمه عشر سنوات، وحمل عنه جملة نافعة من علم الحديث سندًا وامتتًا وعللاً وأصطلاحًا، فقرأ عليه ألفيته وشرحها فنون الحديث وأنتهى منهما في رمضان سنة ٧٩٨ هـ بمنزل شيخه المذكور بجزيرة الفيل على شاطئ النيل، كما قرأ عليه نكته على ابن الصلاح في مجالس آخرها سنة ٧٩٩ هـ، وبعض الكتب الكبار والأجزاء القصار، وحمل جملة مستكثرة من أماليه وأستملى عليه بعضها وهو أول من أذن له بالتدريس في علوم الحديث عام ٧٩٧ هـ.

وقرأ على مُسندي القاهرة ومصر الكثير في مدة قصيرة فوقع له سماع متصل عال لبعض الأحاديث.

أسرته:

كانت أسرة الحافظ ابن حجر تجمع بين الاشتغال بالتجارة والاهتمام بالعلم، فكان عم والده فخر الدين عثمان بن محمد بن علي الذي عرف بابن البراز وابن حجر قد سكن نجر الإسكندرية وأنتهت إليه

رئاسة الإفتاء هناك على مذهب الإمام الشافعي وتفقه به جماعة منهم الدّمهورى، وابن الكويك، وكان له ولدان هما ناصر الدين أحمد، وزين الدين محمد، وكانا من الفقهاء.

أما جده قطب الدين محمد بن محمد بن علي فلقد كان بارعاً رئيساً تاجراً، حصل على إجازات من العلماء، وأنجب أولاداً منهم كمال الدين، ومجد الدين، وتقي الدين وأصغرهم وليّ الدين ثم نور الدين علي، وهو والد ابن حجر الذي أنصرف من بينهم لطلب العلم أما إخوته فكانوا تجاراً.

ويبدو من خلال سيرة نور الدين علي أنه مع اشتغاله بالتجارة عكف على الدرس وتحصيل العلوم فتفقه على مذهب الإمام الشافعي وحفظ الحاوي الصغير، وأخذ الفقه عن محمد بن عقيل وأجازه، وسمع من أبي الفتح بن سيد الناس وطبقته وله استدراك على الأذكار للنووي فيه مباحث حسنة، وعدة دواوين شعر منها ديوان الحرم فيها مدائح نبوية، وكان معنياً بالنظم ذا حظ جيد في الأدب. وقال ابن حجر عن أبيه: لم يكن له بالحديث إلمام ونظمه كثير سائر، ووصفته المصادر بالعقل والديانة والأمانة ومكارم الأخلاق، وصحبة الصالحين، ونوّهت ببناء ابن القطان وابن عقيل والوليّ العراقي عليه، وناب في القضاء، وأكثر من الحج والمجاورة وصنف، وأجيز بالإفتاء والتدريس والقراءات السبع وتطارح مع ابن نباتة المصري والقيراطي، وتبادل معها المدائح.

كان مولده في حدود سنة ٨٢٠ هـ في رجب سنة ٧٧٧ هـ.

أما والدته فهي تجار أبنة الفخر أبي بكر بن شمس محمد بن إبراهيم الزفتاوي، أخت صلاح الدين أحمد الزفتاوي الكارمي صاحب القاعة الكائنة بمصر تجاه المقياس.

وكانت له أخت، ترجم لها في إنباء الغمر، والمجمع المؤسس، وهي: ست الركب بنت علي بن محمد ابن محمد بن حجر، وكانت قارئة كاتبة أعجوبة في الذكاء، أثني عليها وقال: كانت أمي بعد أمي، أصبت بها في جمادى الآخرة من هذه السنة، أي سنة ٧٩٨هـ.

وذكر السخاوي تحصيلها الثقافي وإجازتها وزواجها وأولادها كما ذكر ابن حجر شيوخها وإجازتها من مكة ودمشق وبلبك ومصر وقال: وتعلّمت الخط وحفظت الكثير من القرآن، وأكثر من مطالعة الكتب ففهرت في ذلك جداً... وكانت بي برة رفيقة محسنة، وقد رثاها أخوها الحافظ ابن حجر في قصيدة، وكان له أخ من أمه اسمه: عبد الرحمن بن الشهاب أحمد بن محمد البكري، ترجم له في إنبائه وقال: إنه مهر وحصل مالا أصله من قبل أمه - وهي والدي - فقدر الله موته فورثه أبوه. تزوج الحافظ ابن حجر عند ما بلغ عمره خمساً وعشرين سنة، وذلك في سنة ٧٩٨ من أنس ابنة القاضي كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز ناظر الجيش، وتنتمي أنس إلى أسرة معروفة بالرئاسة والحشمة والعلم.

وكان ابن حجر حريصاً على نشر الثقافة والعلم بين أهل بيته وأقاربه كحرصه على نشر العلم بين الناس، وسيتضح ذلك في دراسة جهوده في التدريس وعقده لمجالس الإملاء.

فأسمع زوجته من شيخه حافظ العصر عبد الرحيم العراقي الحديث المسلسل بالأولية، وكذا أسمعها إياه من لفظ العلامة الشرف ابن الكويك، وأجاز لها بالاستدعاء عدد من الحفاظ فيهم أبو الخير بن الحافظ العلاءي، وأبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ الذهبي، ولم تكن الاستدعاءات بالإجازة لها لتقتصر على المصريين بل من الشاميين والمكيين واليمنيين، وكان الحافظ ابن حجر في حالة الاستدعاء لها بدون أسماء من ولدن من بناتها اللاتي ولدن تبعاً.

وحجت بصحبة زوجها في سنة ٨١٥ هـ كما حجت وجاورت بعد ذلك وحدثت بحضور زوجها، وقرأ عليها الفضلاء، وكانت تحتفل بذلك وتكرم الحاضرين، وقد خرج لها السخاوي أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً، وقرأها عليها بحضور زوجها، وكان ابن حجر قد أسلف لها بالإعلام بذلك على سبيل المداعبة بقوله: قد صرت شيخة إلى غير ذلك، وكانت كثيرة الإمداد للعلامة إبراهيم بن خضر بن أحمد العثماني العلامة المنفس الذي كان يقرأ لها صحيح البخاري في رجب وشعبان من كل سنة، وتحتفل يوم الختم بأنواع من الحلوى والفاكهة، ويهرع الكبار والصغار لحضور ذلك اليوم قبيل رمضان بين يدي زوجها الحافظ، ولما مات الحافظ ابن خضر قرأ لها سبطها يوسف بن شاهين، ولم تضبط لها هفوة ولا زلة.. وكان زوجها يكن لها الاحترام الكبير كما كانت هي عظيمة الرعاية له. فولدت له عدة بنات زين خاتون وفرحة، وعالية، ورابعة، وفاطمة، ولم تأت منه بذكر، وكانت كلما حملت ذكراً ولد قبل أوانه ميتاً.

وتمر السنوات ثقيلة متباطئة، وتتدافع في نفسه أمور متنافرة يحترم أم أولاده ويرعاها، غير أنه شاء الله لها أن لا تلد إلا إناثاً، أما الذكور فيموتون، بيد أنه أحب أن يكون له ولد، فاختار التسري، وكانت لزوجته جارية يقال إن اسمها خاص نزل، فأظهر غيظاً بسبب تقصيرها، وأقسم بأن لا تقيم بمنزله فبادرت أنس لبيعها، فأرسل شمس الدين بن الضياء الحنبلي فاشتراها له بطريق الوكالة وتزوجها في مكان بعيد عن منزله، فحملت بولده الوحيد بدر الدين بن المعالي محمد المولود في الثامن عشر من صفر سنة ٨١٥ هـ وكانت العقيقة في منزل أنس، ولم تشعر بذلك إلى قبل انفصال الولد عن الرضاع، فلما علمت أنس ذهبت هي وأمها إلى مكان وجود الولد وأمه وأحضرتها معها إلى منزلها وأخفت أمرهما.

ولما حضر ابن حجر أستجوبته زوجته أنس فما أعترف ولا أنكر بل روى بما يفهم منه الإنكار، ثم قامت فأخرجت الولد وأمه فأسقط في يده.

وعاتبته عتاباً مرّاً، فاعتذر بميله للأولاد الذكور، ودعت عليه أن لا يرزق ولدًا عالمًا، فتألم لذلك وخشي من دعائها، وقال لها: أحرقت قلبي أو شيئًا من هذا القبيل؛ لأنها كانت مجابة الدعاء.

وبعد وفاة ابن حجر أرسل لها علم الدين البلقيني على يد ولده أبي البقاء يطلب الزواج منها، وقيل: إنها لم تكن تأبى ذلك لكن عصم الله فلم تتزوج.

كما تزوج ابن حجر أرملة الزين أبي بكر الأمشاطي بعد وفاته، وذلك عند مجاورة أم أولاده سنة ٨٣٤هـ ورزق منها في رجب سنة ٨٣٥هـ ابنة سماها آمنة، لم تعيش طويلاً حيث ماتت في شوال ٨٣٦هـ، وبموتهما طلقت أمها لأنه علّق طلاقها عند سفره إلى آمد على موتها.

ما تزوج ابن حجر من ليلي ابنة محمود بن طوعان الحلبيّة عندما سافر مع الأشرف سنة ٨٣٦هـ إلى آمد. وكان زواجه منها في حلب، وأستمرت معه إلى أن سافر من حلب ففارقها دون أن يعلمها بالطلاق، لكن أسرّه إلى بعض خواصه، والتمس منه ألا يعلمها بذلك، وكان يريد أن يختبر ولاءها، ولأنها قد لا تطيق أن تترك حلب وتساfer معه إلى مصر، ثم راسل بعض أصدقائه الحلبيين في تجهيزها إن اختارت ويعلمها بأن الذي يحمله على الطلاق هو الرفق بها لئلا تختار الإقامة بحلب أو يحصل لها نصيبها فلا تتضرر، وجاء في الكتاب الذي قرأه السخاوي بخطه وصفه لها بأنها نعم المرأة عقلاً وحسن خلق وخُلق ويعدها بكل جميل وأنها إن قدمت ينزلها أحسن المنازل... فامتثلت إشارته وتجهزت حتى قدمت عليه إلى مصر... وأستمرت معه حتى مات،

وكان قد أسكنها في بيت خاص.. ويأتي إليها في يومي الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع، ولم يرزق منها أولاداً، وكان شديد الميل إليها حتى قال فيها شعراً.

أما أولاده فهم خمس بنات وولد واحد، وهم: زين خاتون، وفرحة، وعالية، ورابعة وفاطمة وبدر الدين محمد.

فكانت زين خاتون هي البكر، ومولدها في ربيع الآخر سنة ٨٠٢، فاعتنى بها وأستجاز لها في سنة ولادتها وما بعدها خلقاً وأسمعها على شيوخه كالعراقي والهيشمي وأحضرها على ابن خطيب داريا، ثم تزوجها الأمير شاهي العلاني الكركي الذي صار داوداراً عند المؤيد مدة، فولدت له عدة أولاد ماتوا كلهم في حياة أمهم، ولم يتأخر من أولادها إلا أبو المحاسن يوسف ابن شاهين المعروف كسبط ابن حجر، وكانت قد تعلمت القراءة والكتابة وماتت - وهي حامل - بالطاعون سنة ٨٣٣ هـ.

وأما فرحة فكان مولدها في رجب سنة ٨٠٤، وأستجيز لها مع أمها، وتزوجها شيخ الشيوخ محب الدين بن الأشقر الذي ولي نظر الجيش وكتابة السر، وكان أحد الأعيان في الديار المصرية فولدت له ولداً مات صغيراً في حياة أمه التي كانت وفاتها سنة ٨٢٨ هـ بعد أن رجعت من الحج مع زوجها موعوكة.

وأما عالية فكان مولدها سنة ٨٠٧ هـ وأستجيز لها جماعة وماتت هي وأختها فاطمة في الطاعون سنة ٨١٩ مع من مات من أفراد أسرة أبيهما.

وأما رابعة فكان مولدها سنة ٨١١ وأسمعها والدها علي المراغي بمكة سنة ٨١٥ هـ وأجاز لها جمع من الشاميين والمصريين وتزوجها الشهاب أحمد بن محمد بن مكنون، وأستولدها بنتاً سماها عالية

ماتت في حياتيهما، ومات عنها زوجها سنة ٨٣٠ هـ فتزوجها المحب بن الأشقر حتى ماتت عنه في سنة ٨٣٢ هـ، وعمل صداقها في أرجوزة.

أما ولده الوحيد بدر الدين أبو المعالي محمد فكان والده حريصاً على تعليمه وتهذيبه، فحفظ القرآن وصلّى بالناس كما كانت العادة جارية في سنة ٨٢٦، وأسمعه الحديث على الواسطي وجماعة وأجاز له باستدعاء والده منذ مولده سنة ٨١٥ هـ فما بعد عدد من كبار المسندين ذكرهم والده في مجمع شيوخه.

وبلغ من حرصه وأهتمامه به بعد أن صنف كتابه: بلوغ المرام من أدلة الأحكام لأجله، لكنه لم يحفظ إلا اليسير منه وكتب عن والده كثيراً من مجالس الإملاء وسمع عليه شيئاً كثيراً واشتغل بأمر القضاء والأوقاف مساعداً لوالده، حتى صارت له خبرة بالمباشرة والحساب... واشتدت محبة والده له.

وولي في حياة أبيه عدة وظائف أجلها مشيخة البيرونية وتدريس الحديث بالحسنية ناب عنه فيهما والده، والإمامة بجامع طولون وغير ذلك.

وفد وصفه ابن تغري بردي بالجهل، وسوء السيرة، ولم يرض ذلك السخاوي فرد عليه مُفيداً بأنه كان حسن الشكالة متكرماً على عياله قل أن يكون في معناه، لكن السخاوي أشار في موضوع آخر إلى محنة الحافظ ابن حجر بسبب ولده وما نسب إليه من التصرف في أموال الجامع الطولوني بالاشتراك مع آخرين، واحتجز رهن التحقيق، وكان والده في ضيق صدر زائد وألم شديد بسببه وتأوه كثيراً وكل يوم يسمع من الأخبار ما لم يسمعه بالأمس، وكان يتوجه إليه في يوم الجمعة يوماً أو أكثر إلى المكان الذي يكون فيه فيرجع.. وهو مسرور لما يرى من ثبات ولده وقوة قلبه

وشجاعته وانتظام كلامه ومهارته، إلى أن تبين أن ما أشيع عنه مجرد اتهام، ولذلك عمل الحافظ ابن حجر جزءاً سماه: ردع المجرم عن سب المسلم، ويبدو أن القاضي ولي الدين السفطي كان له دور مهم في محنة الحافظ ابن حجر بسبب ما كان بينهما من المنافسة على القضاء فكانت هذه الحادثة سبباً في زهد الحافظ ابن حجر في القضاء.

ابن حجر المحدث وخطيب الأزهر:

تولى ابن حجر الخطابة في عدة مساجد من أكبر المساجد بالقاهرة مثل الجامع الأزهر وجامع عمرو وغيرهما من المساجد الكبرى بالقاهرة فقد كان متبحراً في العديد من العلوم، وكان يفد إليه طلاب العلم وأهل الفضل من سائر الأنحاء، وكان يتسم بالحلم والتواضع والصبر كثير الصيام والقيام. وكان مرجعاً في الحديث النبوي، حتى لقب بلقب أمير المؤمنين في الحديث وهذا اللقب لا يظفر به إلا أكبر المحدثين الأفاضل وقد حبيب إلى ابن حجر الحديث وأقبل عليه بكلية وطلبه من سنة ثلاث وتسعين ولكنه لم يلزم الطلب إلا من سنة ست وتسعين فعكف على الزين العراقي وتخرج به وانتفع بملازمته، وتحول إلى القاهرة فسكنها قبيل القرن وأرتحل إلى البلاد الشامية والمصرية والحجازية وأخذ عن الشيوخ والأقران وأذن له جل هؤلاء في الإفتاء والتدريس.

وتصدر لنشر الحديث وقصر نفسه عليه مطالعة وقراءة وإقراء وتصنيفاً وإفتاءً وزادت تصانيفه التي معظمها في فنون الحديث وفيها من فنون الأدب والفقه - على مائة وخمسين تصنيفاً، وقد عرف ابن حجر بالحفظ وكثرة الاطلاع والسماع وبرع في الحديث وتقدم في جميع فنونه وأثنى عليه شيوخه في هذا الشأن، وقد سبق أنه ولي تدريس الفقه بالمدرسة الشيعونية، وتدريس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة، ثم تدريس الشافعية بالمؤيدة الجديدة، ومشيخة البيهرسية في

دولة المؤيد، وتدرّس الفقه بالمدرسة الصلاحية المجاورة للإمام الشافعي، كما تولى الخطابة بالجامع الأزهر وبين التدريس والإفتاء ولي منصب القضاء، وكانت أول ولايته القضاء في السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين وثمان مئة بعد أن امتنع أولاً لأنه كان لا يؤثر على الاشتغال بالتأليف والتصنيف شيئاً غير أن ابن حجر كما يقول السخاوي قد ندم على قبوله وظيفة القضاء، ويقول ابن حجر: إن من آفة التلبس بالقضاء أن بعضهم ارتحل إلى لقائي وأنه بلغه تلبسي بوظيفة القضاء فرجع، وعزل عن القضاء وأعيد إليه مرات، وكان آخر ولايته القضاء إذ عزل نفسه في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة.

شيوخه:

بلغ عدد شيوخه بالسَّماع والإجازة والإفادة على ما بيّن بخطه نحو أربع مئة وخمسين نفساً، وإذا استثنينا الشيوخ الذين أجازوا عموماً فقد ترجم في المجمع المؤسس لأكثر من ست مئة شيخ، وذكر بعضهم أن عدد شيوخه بلغ ست مئة نفس سوى من سمع منه من الأقران.

وأجتمع له من الشيوخ الذين يشار إليهم ويعول في حل المشكلات عليهم ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره؛ لأن كل واحد منهم كان متبحراً ورأساً في فنه الذي اشتهر به، فالبلقيني في سعة الحفظ وكثرة الاطلاع، وابن الملقن في كثرة التصانيف، والعراقي في معرفة علوم الحديث، ومتعلقاته، والهيثمي في حفظ المتن، وأستحضرها، والمجد الشيرازي في حفظ اللغة وإطلاعه عليها، والغماري في معرفة العربية ومتعلقاتها، وكذا المحب ابن هشام كان حسن التصرف فيها لوفور ذكائه، وكان الغماري فائقاً في حفظها، والإيناس في حسن تعليمه وجودة تفهيمه، والعز بن جماعة في تفننه في علوم كثيرة بحيث كان يقول: أنا أقرأ في خمسة عشر علماً لا يعرف علماء عصري أسماءها والتنوخي في معرفة القراءات وعلو سنده فيها.

شيوخ القراءات:

١- إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن التنوخي الشيخ برهان الدين الشامي ٧٠٩-٨٠٠هـ بلغ عدد شيوخه ست مئة شيخ بالسَّماع والإجازة يجمعهم مجمه الذي خرّجه له الحافظ ابن حجر ونزل أهل مصر بموته درجة، قرأ عليه الحافظ ابن حجر من أول القرآن الفاتحة إلى قوله ﴿المفلحون﴾ من سورة البقرة جامعاً للقراءات السبع ثم قرأ عليه الشاطبية تامة بسماعه لها على القاضي بدر الدين بن جماعة كما قرأ عليه الخلاصة للألفية من العربية نظم ابن عبد الله، فضلاً عن

قراءته عليه صحيح البخاري، وبعض المسانيد، والكتب والأجزاء، وخرج له المائة العشرية، ثم الأربعين التالية لها، وأذن له بالإقراء سنة ٧٩٦هـ.

٢- محمد بن محمد بن محمد الدمشقي الجزري ٧٥١ - ٨٣٣ شيخ القراءات وأجاز له ولوالده محمد وحشه على الرحلة إلى دمشق، حدث بكتابه الحصن الحصين في البلاد اليمنية، ومهر الجزري في الفقه إلا أن فقه القراءات.

شيوخ الحديث:

١- عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان النيسابوري المعروف بالنشأوري ٧٠٥ - ٧٩٠هـ وهو أول شيخ سمع عليه الحديث المسند فيما اتصل بعلمه، سمع عليه صحيح البخاري مع فوت بقراءة شمس الدين السلاوي سنة ٧٨٥هـ بالمسجد الحرام بسماحه على الرضي الطبري على أنه شك في إجازته منه، وترك التخريج والرواية بتلك الإجازة وقال: وفي المصريح به غني عن المظنون والله المستعان.

٢- محمد بن عبد الله بن ظهيرة الخزومي المكي جمال الدين ٧٥١ - ٨١٧هـ وهو أول من بحث عليه في فقه الحديث وذلك في مجاورته مع الخروبي بمكة سنة ٧٨٥هـ وهو ابن اثنتي عشرة سنة، حيث قرأ عليه بحثاً في عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني المقدسي، ثم كان أول من سمع بقراءته الحديث بمصر سنة ٧٨٦هـ، وسمع عليه كتباً أخرى.

٣- عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي أبو الفضل زين الدين الحافظ الكبير ٧٢٥ - ٨٠٦هـ وأول ما اجتمع به سنة ٧٨٦هـ فقرأ عليه ثم فتر عزمه، كما وضع فيما فات، ثم لازمه عشر سنوات وتخرج به وهو أول من أذن له بالتدريس في علوم الحديث في سنة ٧٩٧هـ، وحضر مجالس إملائه، وقرأ عليه كتابه الأربعين العشارية من جمعه وأستملى عليه الحافظ ابن حجر في غياب

ولده أبي زرعة، وحمل عنه جملة مستكثرة من أماليه، وأذن له في تدريس ألفيته من الحديث، وشرحها، والنكت على ابن الصلاح، وسائر كتب الحديث وعلومه، ولقبه بالحافظ وعظمه ونوّه بذكره.

وللحافظ ابن حجر مع شيخه مراجعات كثيرة.

٤- علي بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن الهيثمي ٧٣٥-٨٠٧ لازم العراقي أشد ملازمة وهو صهره، خرج زوائد مسند البزار ثم مسند أبي يعلى الموصلي، ثم الطبرانيات، وجمع الجميع في كتاب واحد محذوف الأسانيد، ورتب الثقات لابن حبان على حروف المعجم، وحلية الأولياء على الأبواب، اقتصر منها على الأحاديث المسندة، ومات وهو مسودة فكمل ابن حجر ريعه، وصار الهيثمي لشدة ممارسته أكثر استحضاراً للتون من شيخه العراقي حتى يظن من لا خبرة له أنه أحفظ منه، وليس كذلك؛ لأن الحفظ المعرفة. قال ابن حجر: كان يودني كثيراً وبلغه أنني تتبعته أوهامه في مجمع الزوائد فعاتبني فترك ذلك، قرأ عليه قريناً لشيخه العراقي ومنفرداً.

شيوخ الفقه:

١- إبراهيم بن موسى بن أيوب برهان الدين الأنباري الورع الزاهد ٧٢٥-٨٠٢ هـ سمع من الوادي آشي، وأبي الفتح الميدومي، ومسند عصره ابن أميلة وطبقته، قال عنه ابن حجر: سمعت منه كثيراً وقرأت عليه الفقه، وقال: اجتمعت به قديماً وكان صديق أبي ولازمته بعد التسعين، وبحث عليه في المنهاج وقرأت عليه قطعة كبيرة من أول الجامع للترمذي بسماعه على... ابن أميلة، وله مصنفات، يألّفه الصّالحون ويحبه الأكابر وفضله معروف.

٢- عمر بن علي بن أحمد بن الملقن ٧٢٣ - ٨٠٤ هـ كان أكثر أهل عصره تصنيفاً فشرح المنهاج عدة شروح، وخرّج أحاديث الرافعي في ست مجلدات، وشرح صحيح البخاري في عشرين مجلدة أنتقده ابن حجر عليه وعلى أشياء أخرى. قرأ عليه قطعة من شرحه الكبير على المنهاج.

٣- عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقيني تزيل القاهرة أبو حفص، شيخ الإسلام علم الأعلام مفتي الأنام ٧٢٤ - ٨٠٥ هـ أقدمه أبوه القاهرة وله اثنتا عشرة سنة فبهرهم بذكائه وكثرة محفوظه وسرعة إدراكه وعرض عليه محافظيه ورجع، غير أنه لم يرزق ملكة في التصنيف قد لازمه الحافظ ابن حجر مدة، وقرأ عليه الكثير من الروضة، ومن كلامه على حواشيها، وسمع عليه بقراءة البرماوي مختصر المزني، وكتب له خطه بالإذن بالإعادة وهو أول من أذن له في التدريس والإفتاء، وتبعه غيره.

٤- محمد بن علي بن عبد الله القطان الفقيه ٧٣٧ - ٨١٣ هـ مهر في فنون كثيرة، وتفقه عليه الحافظ ابن حجر، وقال عنه: قرأت عليه وأجاز لي وذكر لي أنه قرأ الأصول على الشيخ نور الدين الأسنائي وكان ماهراً في القراءات والعربية والحساب ولازمه في الفقه، وقرأ عليه قسماً كبيراً من الحاوي وغيره.

٥- علي بن أحمد بن أبي الآدمي الشيخ نور الدين، قال ابن حجر: قرأت عليه في الفقه والعربية، وكان على طريقة مثلى من الدين والعبادة والخير ولازمه كثيراً.

شيوخ العربية:

١- محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق الغماري المصري المالكي ٧٢٠ - ٨٠٢ هـ وكان كثير الاستحضار واللغة مع مشاركة في الأصول والفروع، ودرس القراءات في الشيوخية وهو خاتمة من كان يشار

إليه في القراءات العربية، سمع عليه ابن حجر القصيدة المعروفة بالبردة بسماعه لها على أبي حيان بسماعه من ناظمها، وأجاز له غير مرة كما أجازته مروياته عن غيره، وكان عارفاً بالعربية كثير الحفظ للشعر لا سيما الشواهد قوي المشاركة في فنون الأدب.

٢- محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الأصل بدر الدين البشتكي الأديب الفاضل المشهور ٧٤٨-٨٣٠ هـ. حفظ كتاباً في فقه الحنفية ثم تحول شافعياً، ثم نظر في كتب ابن حزم، واشتغل في فنون كثيرة، وعني الأدبيات فمهر فيها، لازمه ابن حجر بضع سنين، وأنتفع بفوائده وكتبه وأدبياته وطارحه بأبيات وسمع منه الكثير من نظمه وأجاز له ولأولاده، وسبقت الإشارة إلى أنه كان يعيره بعض الكتب الأدبية، وقرأ عليه مجلساً واحداً من مقدمة لطيفة في علم العروض أستفاد منه لمعرفة الفن بكماله، كما قرأ عليه البشتكي بعد ذلك في الحديث فهو شيخه، وتليذه في آن واحد.

٣- محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي الشيخ العلامة محمد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي ٧٢٩-٨١٧ هـ نظر في اللغة فكانت جل قصده في التحصيل فمهر فيها إلى أن فاق أقرانه، أجمع به في زبيد، وفي وادي الخصيب وناولته جل القاموس المحيط وأذن له مع المناولة بروايته عنه وقرأ عليه من حديثه عدة أجزاء، وسمع منه المسلسل بالأولية بسماعه عن السبكي، وكتب له تقریظاً على بعض تخریجاته أبلغ فيه شيخه في أغلب العلوم.

٤- محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن جماعة الحموي الأصل ثم المصري الشيخ عز الدين ابن المسند شرف الدين ٧٥٩-٨١٩. أتقن فنون المعقول إلى أن صار هو المشار إليه في الديار المصرية في هذا الفن.. ولم يقرأ عليه كتاب من الكتب المشهورة إلا ويكتب عليه نكتاً وتعقيبات وأعتراضات بحسب ما يفتح له أخذ عنه في شرح منهاج الأصول، وجمع الجوامع، ومختصر ابن الحاجب وفي

المطول لسعد الدين وأجاز له غير مرة ولأولاده، وقال البقاعي: وأجل من أخذ عنه المعقول والأدبيات علامة الدنيا الشيخ عز الدين بن جماعة، ولازمه طويلاً، وأخذ عنه علماً جزيلاً. وقال السخاوي: إن ابن جماعة كان يقول: أنا أقرأ في خمسة عشر علماً لا يحرف علماء عصري أسماءها. ولازمه الحافظ ابن حجر في غالب العلوم التي كان يقرأها من سنة ٧٩٠ إلى أن مات سنة ٨١٩ ولم يخلف بعده مثله كما قال في إنباء الغمر.

مصنفاته:

قال السخاوي: وزادت تصانيفه التي معظمها في فنون الحديث وفيها من فنون الأدب والفقه، والأصليين وغير ذلك على مئة وخمسين تصنيفاً رزق فيها من السعد والقبول خصوصاً فتح الباري بشرح البخاري الذي لم يسبق نظره أمراً عجباً.

بلغت مصنفاته أكثر من اثنين وثلاثين ومائة تصنيف، وها هي مرتبة على حروف المعجم.

١- الآيات النيرات للخواص المعجزات.

٢- إتباع الأثر في رحلة ابن حجر.

٣- إتحاف المهرة بأطراف العشرة.

٤- الإتيان في فضائل القرآن.

٥- الأجوبة المشرقة على الأسئلة المفرقة.

٦- الأحكام لبيان ما في القرآن من إبهام.

٧- أربعون حديثاً متباينة الأسانيد بشرط السماع.

٨- أسباب النزول.

- ٩- الأسئلة الفاتحة بالأجوبة الالائقة.
- ١٠- الاستبصار على الطاعن المعتار.
- ١١- الاستدراك على الحافظ العراقي في تخرج أحاديث الإحياء.
- ١٢- الاستدراك على الكاف الشاف.
- ١٣- الإصابة على تمييز الصحابة.
- ١٤- أطراف المختارة.
- ١٥- أطراف الصحيحين.
- ١٦- أطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي.
- ١٧- الإعجاب ببيان الأسباب.
- ١٨- الإعلام بمن ذكر في البخاري من الأعلام.
- ١٩- الإعلام لمن ولي مصر في الإسلام.
- ٢٠- الإفصاح بتكميل النكت على ابن الصلاح.
- ٢١- الإفنان في رواية القرآن.
- ٢٢- إقامة الدلائل على معرفة الأوائل.
- ٢٣- الألقاب.
- ٢٤- أمالي ابن حجر.
- ٢٥- الإمتاع بالأربعين المتبانية بشرط السماع.
- ٢٦- الإنارة في طرق حديث الزيارة.

- ٢٧- إنباء الغمر بأنباء العمر.
- ٢٨- الانتفاع بترتيب الدارقطني.
- ٢٩- أنتقاض الاعتراض.
- ٣٠- الأنوار بمخصائص المختار.
- ٣١- الإيناس بمناقب العباس.
- ٣٢- بذل الماعون بفضل الطاعون.
- ٣٣- البسط المبعوث في خبر البرغوث.
- ٣٤- بلوغ المرام بأدلة الأحكام.
- ٣٥- بيان الفصل بما رجع فيه الإرسال على الوصل.
- ٣٦- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه.
- ٣٧- تبيين العجب بما ورد في فضل رجب.
- ٣٨- تجريد التفسير.
- ٣٩- تحرير الميزان.
- ٤٠- تحفة أهل التحديث عن شيوخ الحديث.
- ٤١- تحفة الظراف بأوهام الأطراف.
- ٤٢- تخريج أحاديث الأذكار للنووي.
- ٤٣- تخريج أحاديث الأربعين للنووي.
- ٤٤- تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب.

- ٤٥- تخرّيج الأربعين النووية بالأسانيد العليّة.
- ٤٦- التعرّيج على التدرّيج.
- ٤٧- ترجمة النووي.
- ٤٨- تسديد القوس في مختصر مسند الفردوس.
- ٤٩- التشويق إلى وصل المهم من التعليق.
- ٥٠- تصحيح الروضة.
- ٥١- تجليل المنفعة برواية رجال الأئمة الأربعة.
- ٥٢- التعريف بالأوحد بأوهام من جمع رجال المسند.
- ٥٣- تعريف أولي التقدير بمراتب الموصوفين بالتدليس.
- ٥٤- تعريف الفئة بمن عاش مئة.
- ٥٥- تعقبات على الموضوعات.
- ٥٦- تغليق التعليق.
- ٥٧- تقريب التهذيب.
- ٥٨- تقريب المنهج بترتيب المدرج، وغيرها من المصنفات.

مرضه ووفاته:

بدأ المرض بحافظ الدنيا ابن حجر طيب الله مثواه في ذي الحجة سنة ٨٥٢هـ، وفي الحادي عشر منه حضر مجلس الإملاء كما أملّى في يوم الثلاثاء الخامس عشر من الشهر المذكور مجلساً وهو متوعك، ثم تغير مزاجه وأصبح ضعيف الحركة.

وخشي الأطباء أن يناولوه مسهلاً لأجل سنّه فأشير بلبن الحليب فتناوله فلانت الطبيعة قليلاً وأدى ذلك إلى نشاط.. وصار مسروراً بذلك، ولكنه لم يشف من مرضه تماماً... ثم عاد إلى الكتمان وتزايد الألم بالمعدة وكان يقول هذا بقايا الغبن من سنة تسع وأربعين وتوابعها، ولم يستطع أن يؤدي صلاة الأضحى الذي صادف يوم الثلاثاء، وهو الذي لم يترك صلاة الجمعة ولا جماعة، وصلى الجمعة التي تلي العيد، ثم توجه إلى زوجته الحلبية، وكأنه أحس بدنو أجله، فاعتذر عن أنقطاعه عنها وأسترضاها وكان ينشد [البسيط]:

ثاء الثلاثين قد أوهت قوى بدني فكيف حالي وثناء الثمانينا

وتردد إليه الأطباء، وهرع الناس من الأمراء والقضاة والمباشرين لعيادته، وقبل منتصف شهر ذي الحجة من سنة ٨٥٢ هـ أشيع أن شيخ الإسلام قد توعك فأنشأ يقول [من المجت]:

أشكو إلى الله ما بي وما حوته ضلوعي
قد طال السقم جسми بنزلة وضلوعي

وكان مرضه قد دام أكثر من شهر، حيث أصيب بإسهال ورمي دم ديسان تري، غير أن السخاوي يقول: ولا أستبعد أنه أكرم بالشهادة فقد كان طاعون قد ظهر.

ثم أسلم الروح إلى بارئها في أواخر شهر ذي الحجة من سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة.

وآختلف مترجموه في تحديد تاريخ يوم وفاته، كما آختلفوا في تحديد يوم ولادته، على أنهم يتفقون جميعاً تقريباً على أنها - وفاته - كانت في ليلة السبت من ذي الحجة، والاختلاف ينحصر في تحديدهم لأي سبت منه، وهذا يرجع إلى أن الأرقام عرضة للتحريف أكثر من غيرها فجعلها

بعضهم في الثامن والعشرين من ذي الحجة، وجعلها آخرون في التاسع عشر منه، على حين ذكرها فريق ثالث في ثامن عشر من ذي الحجة سنة ٨٥٢ هـ.

وترك وصيته التي نقل السخاوي نصها، مستقاة من سبطه يوسف بن شاهين، ومما ورد فيها أنه أوصى لطلبة الحديث النبوي والمواظبين على حضور مجالس الإملاء بجزء من تركته.

وفي أواخر أيامه عادة قاضي القضاة سعد الدين بن الديرى الحنفى فسأله عن حاله فأنشده أربعة أبيات من قصيدة لأبي القاسم الرنخشري هي [من الكامل]:

قرب الرحيل إلى ديار الآخرة	فاجعل إلهي خير عصري آخره
وأرحم مبيتي في القبور ووحدي	وأرحم عظامي حين تبقى ناخرة
فأنا المسيكين الذي أيامه	ولت بأوزار غدت متواترة
فلئن رحمت فأنت أكرم راحم	فبحار جودك يا إلهي زاخرة

وصلي عليه بمصلاه بكنتم المؤمن، حيث أمر السلطان جقمق بأن يحضر إلى هناك ليصلي عليه، وتقدم في الصلاة عليه الخليفة بإذن من السلطان.

وحضر الشيوخ وأرباب الدولة وجمع غفير من الناس، وأزدحموا في الصلاة عليه حتى حزر أحد الأذكياء من مشى في جنازته بأنهم نحو الخمسين ألف إنسان.

وكان يوم موته عظيمًا على المسلمين وحتى على أهل الذمة، وشيعته القاهرة إلى مدفنه في القرافة الصغرى، وتزاحم الأمراء الأكابر على حمل نعشه، ومشى إلى تربته من لم يمش نصف مسافتها قط، فدفن. تجاه تربة الديلي بتربة بني الخروبي بين مقام الشافعي ومقام مسلم السلمي، وكانت وصيته خلاف ذلك.

مصادر ترجمته:

أستفدنا أكثر هذه الترجمة من الدراسة التي قدمها الدكتور شاكر محمود عبد المنعم عن الحافظ أبن حجر .

وانظر للمزيد:

- ١ - رفع الإصر عن قضاة مصر ٧٣ .
- ٢ - معجم المؤلفين ٢٠ / ٢ .
- ٣ - الرسالة المستطرفة ١٢١ .
- ٤ - طبقات الحفاظ ٥٤٧ .
- ٥ - حسن المحاضرة ١ / ٣٦٣ .
- ٦ - ذيل تذكرة الحفاظ ٣٢٦ .
- ٧ - شذرات الذهب ٧ / ٢٧٠ .
- ٨ - الضوء اللامع ٢ / ٣٦ .
- ٩ - ذيل طبقات الحفاظ ٣٨٠ .
- ١٠ - نظم العقيان ٤٥ .
- ١١ - التاريخ المكمل ٣٦٢ .
- ١٢ - طبقات الحفاظ ٥٤٧ .
- ١٣ - مقدمة كتاب أبناء العمر ٧ .
- ١٤ - معجم طبقات الحفاظ ٣٢١، ٥٥ .
- ١٥ - فهرس الفهارس ١ / ١٢٠ .

- ١٦ - الجامع في الرجال ١٣٦.
- ١٧ - الكنى والألقاب ١/ ٢٦١.
- ١٨ - البدر الطالع ١/ ٨٧.
- ١٩ - القلائد الجوهريّة ٣٣١.
- ٢٠ - مفتاح السعادة ١/ ٢٠٩.
- ٢١ - المؤرخين في مصر ١٧.
- ٢٢ - عقود الجواهر ١٨٨.
- ٢٣ - كشف الظنون ٧، ٨، ١٢،
- ٢٤ - إيضاح المكنون ١/ ١٣.
- ٢٥ - الأعلام ١/ ١٧٩.
- ٢٦ - هدية العارفين ١/ ١٢٨.